

DUDARAB

بحال كيراني

أساطير العالم



DUDARAB

بطل أتينا



دار المعارف طر

کامل کیلانی

أساطير العالم

بطل اتینا



دارالمعارف بمصر

١٩٦١

الفصل الأول

١ - فِي سَفْحِ جَلِّ

مُنْذُ آلافٍ مَضَتْ مِنَ السِّنِينَ ، وَلِدَ بَطَلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ - أَعْي : « بَطَلُ أَيْنَا » - فِي إِحْدَى الْمَدَائِنِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، الْوَاقِعَةِ عَلَى سَفْحِ جَلِّ سَاهِقٍ مِنْ جِبَالِ الْيُونَانِ .
وَقَصَى « بَطَلُ أَيْنَا » طُفُولَتَهُ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ الشَّاهِقِ .
وَعَاشَ فِي نِلْكَ الْمَدِينَةِ عَيْشَةً رَاضِيَةً ، حَيْثُ رَزَعَهُ أُمُّهُ الْخَنُونُ ،
وَنَعَى بَنَشِيتِهِ وَتَضَفِيهِ ، وَتَقَصَّ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ، وَتَرَوَى لَهُ
كُلَّ مُعْجَبٍ مِنْ أَحْبَارِ الْأَوَّلِينَ ، وَتَوَارِيخِ الْقَدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ ؛
لِتَبْصُرَهُ بِحَقَائِقِ الْحَيَاةِ وَعِظَاتِهَا ، وَتَنْفَعَهُ بِمَا تَحْوِيهِ نِلْكَ الْأَحَادِيثُ
مِنْ عِبَرٍ سَامِيَةٍ ، وَمُتَعٍ شَائِقَةٍ .

٢ - مَلِكُ « أَيْنَا »

وَكَانَ أَعْجَبَ مَا نَحَدُّهُ بِهِ أُمُّهُ - مِنْ نِلْكَ الْأَحَادِيثِ الْبَارِعَةِ -

حَدِيثُهَا عَنْ أَبِيهِ ؛ فَقَدْ قَصَّتْ عَلَى وَلَدِهَا : « بَطَلُ أَيْنَا » - ذاتَ
يَوْمٍ - أَقَاصِيصَ مُعْجَبَةٍ ، وَصَفَتْ فِيهَا مَا أَتَاهُ وَالِدُهُ مِنْ جَلَالِ
الْأَعْمَالِ ، وَعَظَائِمِ الْأُمُورِ ، وَقَالَتْ لَهُ فِيمَا قَالَتْهُ :

« لَقَدْ عَهَدَ إِلَى أَبِيكَ أَنْ أَقُومَ سَاهِرَةً عَلَى الْعِنَايَةِ بِأَمْرِكَ ؛ لِيَفْرُغَ
هُوَ إِلَى الْعِنَايَةِ بِالْمُلْكِ ، وَالسَّهَرِ عَلَى رَاحَةِ النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ
بَيْنَهُمْ ، وَهُوَ يَعْيشُ فِي قَصْرِهِ الْفَاخِرِ فِي مَدِينَةِ « أَيْنَا » . »

٣ - حِوَارُ الْأُمِّ وَوَلَدِهَا

قَالَ لَهَا « بَطَلُ أَيْنَا » مَذْهُوشًا :

« وَمَا بَالُ أَبِي لَا يَأْتِي إِلَى بَلَدِنَا هَذَا لِيَعِيشَ مَعَنَا وَادِعًا ، قَرِيرَ
الْعَيْنِ بِرُؤْيَا وَلَدِهِ الْعَزِيزِ ؟ »
فَأَجَابَتْهُ أُمُّهُ بِاسْمَةٍ :

« كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْأُمْنِيَّةِ ، يَا وَلَدِي الْعَزِيزُ ؟
لِنَّ أَبِيكَ مَشْغُولٌ بِسِيَاسَةِ الْمُلْكِ ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ رَعِيَّتِهِ .
وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِهِ أَنْ يَتْرُكَ هَذِهِ الْفُرُوضَ وَالْوَاجِبَاتِ الْمُقَدَّسَةَ ،
لِيَبْتَغِثَ عَنْ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ . »

فَقَالَ لَهَا وَلَدُهَا :

« صَدَقْتَ - يَا أُمِّي - فِيمَا قُلْتِ . وَلَكِنْ خَبِّرِي - أَيُّهَا الْعَزِيزَةُ
الْبَارَةُ - مَاذَا يُعَوِّضُنِي عَنِ السَّفَرِ إِلَى مَدِينَةِ « أَرَيْنَا » ، حَيْثُ أَلْقَى
أَبِي ، وَأَنْعَمَ بِهِ ، وَأَمْتَعُ نَاطِرِي بِرُؤُوسِهِ ؟ »
فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ :

« لَكَ مَا تُحِبُّ وَتُرِيدُ - يَا وَلَدِي - وَلَكِنْ الْوَقْتُ لَمْ يَحِنْ
بَعْدُ ؛ فَأَنْتَ لَا تَزَالُ فِي سِنِّ الطُّفُولَةِ . فَاصْبِرْ - يَا عَزِيزِي -
حَتَّى إِذَا كَبُرْتَ سِنَّكَ ، وَاكْتَمَلَتْ قُوَّتُكَ ، أَذِنْتُ لَكَ فِي السَّفَرِ
إِلَى أَبِيكَ ؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ وَغَرَّةَ مُخِيفَةٍ ، وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ أَخْطَارَهَا
وَأَحْدَاثَهَا (مَصَابِيهَا الْمُفَاجِئَةُ) . »

٤ - صَخْرَةُ الْجَبَلِ

فَقَالَ « بَطَلُ أَرَيْنَا » مُتَعَجِّبًا :

« وَمَتَى تَوْمِينِ - يَا أُمُّاهُ - بِأَنَّنِي عَلَى حَالٍ مِنَ السَّنِّ وَالْقُوَّةِ ،
تُبَيِّحُ لِي أَنْ أُسَافِرَ وَخَدِي ، وَأَجْتَازَ تِلْكَ الطَّرِيقَ الْمَخُوفَةَ ،

دُونَ أَنْ تَخْشَى عَلَى أَحْدَانِهَا وَأُخْطَارِهَا ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ مُتَوَدِّدَةً :

« إِنَّكَ - يَا وَلَدِي - لَمَّا تَعُدُّ سِنَّ الطُّفُولَةِ . وَلَنْ أَسْمَحَ لَكَ
بِالسَّفَرِ إِلَى أَبِيكَ ، إِلَّا إِذَا بَلَغْتَ مِنَ الْقُوَّةِ مَبْلَغًا يُمَكِّنُكَ مِنْ رَفْعِ
هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، الَّتِي نَجْلِسُ عَلَيْهَا الْآنَ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ! »
فَأَسْرَعَ الصَّبِيُّ إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ ، وَبَذَلَ قُصَارَى جُهِدِهِ لِيَرْفَعَهَا ؛
فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى تَحْرِيكِهَا - مِنْ مَكَانِهَا - قَبْدَ أَنْمُلَةٍ (مَسَافَةٍ
رَأْسِ إصْبَعٍ) ، وَخُبِّلَ إِلَيْهِ - لِضَخَامَتِهَا وَثِقَلِهَا - أَنَّهَا لَاصِقَةٌ
بِسَفْحِ الْجَبَلِ .

فَقَالَتْ أُمُّهُ بِاسْتِئْذَانٍ :

« أَرَأَيْتَ - يَا وَلَدِي - كَيْفَ عَجَزْتَ عَنْ تَحْرِيكِ الصَّخْرَةِ
مِنْ مَكَانِهَا ؟ فَاصْبِرْ حَتَّى تَكْبُرَ سِنُّكَ ، وَيَقْوَى سَاعِدُكَ ، فَتَرْفَعِ
الصَّخْرَةَ مِنْ مَكَانِهَا بِأَذْنِي مُحَاوَلَةٍ وَأَبْسَرِ جُهِدٍ ، وَتَرَى مَا خَبَأَ اللَّهُ
لَكَ تَحْتَهَا مِنْ عَتَادِ السَّفَرِ . وَمَتَى تَمَّ ذَلِكَ ، أَذِنْتُ لَكَ فِي الذَّهَابِ إِلَى
أَبِيكَ ، وَتَمْلِكُ رُؤْيَيْهِ . »

٥ - بَعْدَ أَغْوَامٍ

وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ أَغْوَامٌ قَلِيلَةٌ . وَكَانَ « بَطْلُ أَيْنَا » وَأُمُّهُ يَخْتَلِفَانِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَيَجْلِسَانِ عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ - كُلُّ يَوْمٍ - حَيْثُ يَتَجَاذَبَانِ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ، وَيَتَمَنَّيَانِ أَطْيَبَ الْأَمَانِيِّ .

وَذَا صَبَاحٍ ، جَلَسَا - عَلَى عَادَتِهِمَا - عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ الْعَالِيَةِ ، فَذَكَرَ « بَطْلُ أَيْنَا » حَدِيثَ أُمِّهِ الَّذِي حَدَّثَتْهُ بِهِ مُنْذُ أَغْوَامٍ . وَاشْتَدَّ حَيْنُهُ إِلَى لِقَاءِ أَبِيهِ ؛ فَهَرَقَتْ عَيْنَاهُ مِنْ شِدْقِ الْحَمَاسَةِ ، إِذْ لَاحَ لَهُ أَنَّ تَحْقِيقَ أُمْنِيَّتِهِ وَشَيْكَ (سريع) ، وَأَنَّ إِدْرَاكَ مَطْلَبِهِ الْعَزِيزِ أَصْبَحَ يَسِيرًا عَلَيْهِ . فَالْتَفَتَ « بَطْلُ أَيْنَا » إِلَى أُمِّهِ قَائِلًا :

« أُمِّي الْعَزِيزَةُ : لَقَدْ أَصْبَحْتُ الْآنَ - فِيمَا أَعْتَقِدُ - رَجُلًا شَدِيدَ النَّاسِ . وَأَغْلَبُ ظَنِّي أَنَّي قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعَزْمِ مَا يُمَكِّنُنِي مِنْ رَفْعِ هَذِهِ الصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ . فَمَاذَا أَنْتِ قَائِلَةٌ ؟ »
فَأَجَابَتْهُ أُمُّهُ :

« مَا أَظُنُّ الْوَقْتَ - يَا وَلَدِي - قَدْ حَانَ لِبُلُوغِ هَذَا الْعَرَامِ ! »

فقال لها واثقاً مزهُواً (مُعْجَباً بِنَفْسِهِ) :

« إِنِّي جِدُّ واثِقٍ مِنْ قُوَّتِي . وَسَتَرَيْنَ مِصْدَاقَ مَا أَقُولُ . »

٦ - عَتَادُ السَّفَرِ

وَكَانَتْ هَذِهِ الصَّخْرَةُ الْهَائِلَةُ مُنْفَرَسَةً فِي الْأَرْضِ ، وَقَدْ أَتَيْتْ عَلَيْهَا طُولُ الْعَهْدِ كَثِيرًا مِنَ الْحَشَائِشِ وَالطَّحَالِبِ . فَجَعَلَ « بَطْلُ أَتِينَا » يَنْذُلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ مِنْ قُوَّةٍ وَجُهْدٍ ، حَتَّى زَخَزَخَ الصَّخْرَةَ مِنْ مَكَانِهَا ؛ ثُمَّ رَفَعَهَا قَلِيلًا ، وَقَلَبَهَا عَلَى جَانِبِهَا الْآخِرِ . وَمَا أَنْتَهَى مِنْ ذَلِكَ حَتَّى جَهَدَهُ التَّعَبُ ، وَبَلَغَ مِنْهُ الْإِعْيَاءُ كُلَّ مَبْلَغٍ . فَنَظَرَ إِلَى أُمِّهِ نَظْرَةَ الظَّافِرِ الْمُبْتَهِجِ ؛ فَرَأَاهَا تَبَسُّمُ لَهُ ، وَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهَا مِنْ دُمُوعِ الْفَرَحِ - لِإِنْتِصَارِ وَلَدِهَا وَنَجَاحِهِ - مَا مَلَأَ قَلْبَهُ ثِقَةً وَبَقِينًا . ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :

« سَلِمْتَ سَيِّدُنَا - يَا عَزِيزِي - وَأَتَمَّ اللَّهُ لَكَ النَّصْرَ ، أَيُّهَا الْفَارِسُ الْغَلَابُ . فَلَا تَتَوَانَ عَنِ السَّفَرِ بَعْدَ الْآنَ ، وَلَا تَلْبَثْ فِي الْمَدِينَةِ لَحْظَةً وَاحِدَةً ، وَأَذْهَبْ مُسْرِعًا إِلَى أَبِيكَ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ ؛ فَقَدْ أَوْصَانِي



أَلَا أَسْمَحُ لَكَ بِالسَّفَرِ قَبْلَ أَنْ تُزْخِرَ هَذِهِ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ مِنْ
مَكَانِهَا بِذِرَاعَيْكَ الْقَوِيَّتَيْنِ . وَقَدْ تَرَكَ لَكَ تَحْتَهَا عَتَادَ السَّفَرِ .
وَنَظَرَ « بَطْلُ أَيْنَا » ؛ فَرَأَى فَجْوَةً تَحْتَ الصَّخْرَةِ ، وَرَأَى فِيهَا
سَيْفًا مَقْبُضُهُ ذَهَبِيٌّ ، وَإِلَى جَانِبِهِ نَعْلَا آيَةِ اللّٰثَانِ تَرَكَهُمَا لَهُ
لِيَتَّخِذَهُمَا فِي أَثْنَاءِ سَفَرِهِ إِلَيْهِ .

٧ - وَصِيَّةُ الْجَدِّ

قَالَتْ أُمُّ الْبَطَلِ :
« هَذَا سَيْفُ أَيْكَ ، وَهَاتَانِ نَعْلَاؤُهُ . فَاذْهَبْ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ،
وَأَعِدْ عَهْدَ شَبَابِهِ ، وَأَقْتَحِمِ الْعِقَابَ ، وَذَلِّلِ الصَّعَابَ ، وَأَنْهَضِ
بِجَلَالِ الْأَعْمَالِ ، وَأَعِدْ سِيرَةَ أَيْكَ الْجَرَى الْمَقْدَامِ . »
فَصَاحَ « بَطْلُ أَيْنَا » :

« إِنِّي رَاحِلٌ إِلَى أَبِي ، وَذَاهِبٌ نَوًّا لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ
الْحَبِيبَةِ إِلَى نَفْسِي تَحْقِيقُهَا »
وَمَا عَلِمَ جَدُّهُ بِمَا أُعْزَمَهُ ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْهِ يُودِّعُهُ ،

وَيَدْعُو لَهُ بِالتَّوْفِيقِ فِي مَسْأَلِهِ ، وَيَقُولُ لَهُ :

« أَمَامَكَ - يَا حَفِيدَ الْعَزِيزِ - طَرِيقَانِ ، إِحْدَاهُمَا : طَرِيقُ
الْبَحْرِ ، وَهِيَ طَرِيقُ أَمْنَةٍ مُبَسَّرَةٍ ، وَالْأُخْرَى : طَرِيقُ الْبَرِّ ، وَهِيَ
شَدِيدَةُ الْوُعُورَةِ ، مَخْهُوفَةٌ بِالْمَخَافِ وَالْأَخْطَارِ ، مَلِيئَةٌ بِالْوُحُوشِ
وَاللُّصُوصِ وَالشَّعَائِبِ . وَلَسْتُ أَمْنُ عَلَيْكَ أَنْ تَقْطَعَ هَذِهِ الطَّرِيقَ
الْمَخْهُوفَةَ مُنْفَرِدًا ، وَإِنْ كُنْتُ أَرَى فِيكَ - مِنْ شَمَائِلِ الْفُرُوسِيَّةِ ،
وَدَلَائِلِ الْقُوَّةِ - مَا يُرْجِّحُ عِنْدِي أَنَّ التَّوْفِيقَ حَلِيفُكَ ، مَهْمَا تَأْتِيَ
مِنْ أَخْطَارٍ وَمَتَاعِبَ . فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ مَا يَخْلُو ، وَلِيُبَارِكْ لَكَ اللَّهُ فِي
حَلِّكَ وَتَرْحَالِكَ ، فَأَنْتَ بِالنَّجَاحِ جَدِيرٌ . »

٨ - طَرِيقُ « أُتَيْنَا »

فَشَكَرَ « بَطَلُ أُتَيْنَا » لِجَدِّهِ نَصِيحَتَهُ الثَّمِينَةَ ، ثُمَّ وَدَّعَهُ
مُسْتَأْذِنًا فِي السَّفَرِ . وَوَدَّعَ أُمُّهُ الْحَنُونَ - فِي اخْتِرَامِهِ وَآدَبِهِ -
وَسَارَ فِي طَرِيقِهِ رَاضِيَ النَّفْسِ ، صَادِقَ الْغَزْمِ . ثَابِتَ الْجَنَانِ
(مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ) .

وَقَدْ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ طَرِيقَ الْبَرِّ؛ لِيُثَبِتَ - فِي تَارِيخِ مَجْدِهِ -
صَحَائِفَ مِنَ الْبُطُولَةِ لَا تُنْسَى عَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ ، وَتَعَايِبِ الْأَزْمَانِ .
وَكَانَ شَدِيدَ الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ الْوُحُوشِ ، وَمُنَاجَزَةِ اللَّصُوصِ
(مُحَارَبَتِهِمْ) ، وَتَقَحُّمِ الْأَهْوَالِ ، وَالتَّغَلُّبِ عَلَى الْأَخْطَارِ .
وَقَدْ لَقِيَ - فِي طَرِيقِهِ - كَثِيرًا مِنْهَا ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْقُوَّةَ عَلَى
أَعْدَائِهِ ، وَالْعَلَبَةَ (الْإِنْصَارَ) عَلَى مَا لَقِيَهُ مِنْ مُتَاعِبٍ وَعَقَبَاتٍ .
وَلَنْ تَسَعَ هَذِهِ الصَّفَحَاتُ وَصْفَ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا لَقِيَهُ
« بَطْلُ أَيْنَا » فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْمَخَاطِرِ ، الَّتِي بَهَرَتْ
رِجَالَ عَصْرِهِ ، وَرَفَعَتْ أَسْمَهُ ، وَأَذَاعَتْ شُهْرَتَهُ فِي جَمِيعِ الْأَفَاقِ .
وَحَسْبُكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَى « أَيْنَا » حَتَّى أَطْلَقَ
عَلَيْهِ الْأَهْلُونَ لِقَبِّ : « فَارِسِ الْقَصْرِ » ، وَبَطْلِ أَيْنَا الْمِقْدَامِ .
وَكَانَ - عَلَى الْحَقِيقَةِ - أَصْفَرُ فُرْسَانِ عَصْرِهِ سِنًّا ؛ فَأَصْبَحَ مَثَارَ
إِعْجَابِ النَّاسِ ، وَمَوْضِعَ تَقْدِيرِهِمْ ، وَمَضْرِبِ الْأَمْثَالِ عِنْدَهُمْ فِي
الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ .

٩ - مُؤَامَرَةُ الْبَطْلِ

وَكَانَ لِلْمَلِكِ - أَغْنَى : وَالِدَ هَذَا الْبَطْلِ الصَّغِيرِ - كَثِيرٌ مِنَ
الْكَافِينَ مِنَ أَبْنَاءِ أَخِيهِ ، وَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ وَيَتَرَقَّبُونَ مَوْتَهُ
- يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ - بِفَارِغِ الصَّبْرِ ، لِيَرْتُوا مُلْكَهُ الْعَظِيمَ مِنْ بَعْدِهِ .
فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَقْدَمِ هَذَا الْبَطْلِ الشُّجَاعِ ، دَبَّ إِلَيْهِمُ الْيَأْسُ ،
وَدَفَعَهُمُ الْحَسَدُ وَالْقَيْظُ إِلَى الْإِثْمَارِ بِهِ لِيَقْتُلُوهُ .

وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمُوَامَرَةِ الدَّيْنِيَّةُ ، أُمْرَأَةٌ ذَاتُ كَيْدٍ
وَدَهَاءٍ ، يُطْلَقُ عَلَيْهَا لَقَبُ : « سَاحِرَةِ أَتِنَا » . وَهِيَ رَأْسُ هَذِهِ
الْأُسْرَةِ ، وَمُدَبِّرَةُ كُلِّ دَسِيسَةٍ ، وَمُحَرِّكَةُ كُلِّ فِتْنَةٍ .
فَاجْتَمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى لِقَاءِ « بَطْلِ أَتِنَا » وَالْتِرْجِيبِ بِهِ ، لِيَخْدَعُوهُ
عَمَّا دَبَّرُوهُ لِقَتْلِهِ مِنْ مُؤَامَرَةِ حَسِيَسَةٍ وَكَيْدِ دَنِيَّةٍ .

وَقَدْ أَفْلَحُوا فِي مُخَادَعَتِهِ ، وَأَوْهَمُوهُ أَنَّهُمْ أَصْدَقُ خُلَصَائِهِ ،
وَأَبْرَرُ رُفَقَائِهِ ، وَقَالُوا لَهُ مُتَظَاهِرِينَ بِالنُّصْحِ :

« خَيْرٌ لَكَ أَنْ تُخْفِيَ أَسْمَكَ عَنْ أَبِيكَ ، وَأَنْ تَلْقَاهُ - أَوَّلَ
الْأَمْرِ - كَأَنَّكَ غَرِيبٌ عَنْهُ ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ - مِنْ حَدِيثِكَ

وَمَلَامِحَ وَجْهِكَ - أَنْتَ وَلَدُهُ ؛ فَيَكُونُ لِهَذِهِ الْمَفْجَأَةِ السَّارَةِ
أَطْيَبُ الْأَثَرِ فِي نَفْسِهِ . «
فَأَقْرَهُمْ (وَاقَفَهُمْ) « بَطْلُ أَيْنَا » عَلَى أَقْرِاحِهِمُ الْخَبِيثِ ،
وَهُوَ لَا يَسْلَمُ مَا يُضْمِرُونَهُ لَهُ مِنْ كَيْدٍ وَحَسَدٍ .

١٠ - « سَاحِرَةُ أَيْنَا »

وَأَسْرَعَ أَوْلَادُ عَمِّهِ - وَعَلَى رَأْسِهِمْ « سَاحِرَةُ أَيْنَا » - فَأَوْهَمُوا
الْمَلِكَ أَنَّ « بَطْلَ أَيْنَا » قَادِمٌ لِيَقْتُلَهُ وَيَسْلُبَهُ تاجَهُ الْمَلِكِي . ثُمَّ
أَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ ، حَتَّى يَأْمَنَ شَرُّهُ .
فَدُعِرَ الْمَلِكُ مِنْ إِقْدَامِ ذَلِكَ الشَّابِّ (جُرْأَتِهِ) ، وَحَسِبَهُمْ
صَادِقِينَ فِيمَا زَعَمُوا ؛ فَوَعَدَهُمْ بِتَنْفِيذِ أَقْرِاحِهِمْ .
ثُمَّ قَالَتْ « سَاحِرَةُ أَيْنَا » مُتَظَاهِرَةً بِالنُّصْحِ لِلْمَلِكِ :
« الرَّأْيُ عِنْدِي - يَا مَوْلَايَ - أَنْ تَسْقِيَهُ مِنْ هَذِهِ الْكَأْسِ
الْمَسْمُومَةِ الَّتِي أَعَدَدْتُهَا لِقَتْلِ هَذَا الشَّرِيرِ ؛ لِيَمُوتَ مِنْ فَوْرِهِ
(لِلِحَالِ) . »

فَأَمَّنَ الْحَاضِرُونَ عَلَى كَلَامِهَا ، وَأَعْلَنُوا أَرْيَاخَهُمْ لِرَأْيِهَا ، وَلَمْ يَرَ الْمَلِكُ بُدْأًا مِنْ قَبُولِ ذَلِكَ إِلَّافْتِرَاحَ الْحَيِّثِ .

وَكَانَتْ « سَاحِرَةُ أَيْنَا » مِثَالًا لِلشَّرِّ ، وَمَصْدَرًا لِلْإِثْمِ وَالْخَدِيعَةِ ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْهَا الْأَهْلُونَ - مُنْذُ قُدُومِهَا إِلَى « أَيْنَا » - غَيْرَ الْإِسَاءَةِ وَالْأَذِيَّةِ . وَكَانَ لَهَا مَرَكَبَةٌ مَسْحُورَةٌ ، تَجْرُهَا جَمَهْرَةٌ مِنَ السَّعَافِينَ الْمُجَنَّحَةِ (ذَوَاتِ الْأُجْنِحَةِ) ، وَتَطِيرُ بِهَا فِي أَجْوَاثِ الْفَضَاءِ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، حَضَرَ « بَطْلُ أَيْنَا » إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ مُسْتَأْذِنًا فِي الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَتْ « سَاحِرَةُ أَيْنَا » لِلْمَلِكِ :
« ائْذَنْ لَهُ فِي الْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَأَدْعُهُ إِلَى شُرْبِ هَذَا الْقَدَحِ الْمَسْمُومِ ، لِيَتَخَلَّصَ - وَيَخْلُصَ النَّاسُ جَمِيعًا - مِنْ شَرِّهِ وَأَذَاهُ . »

١١ - افْتِضَاحُ الشَّرِّ

فَلَمَّا مَثَلَ « بَطْلُ أَيْنَا » بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ ، رَأَاهُ جَالِسًا عَلَى عَرْشِهِ الْمَلِكِيِّ ، وَالتَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ يَكَادُ سَنَاهُ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ ، وَصَوْلَجَانُ

الْمَلِكِ فِي يَدِهِ ، وَرَأَى لِحِيَّتَهُ الْبَيْضَاءَ تَرِينَ وَجْهَهُ ، وَتَكْسُوهُ وَقَارًا
وَجَلَالًا ؛ فَتَمَلَّكَهُ الْفَرَحُ وَالْأَسَى (الْحُزْنُ) مَعًا ، وَبَكَى مِنْ فَرْطِ
السُّرُورِ بِرُؤْيَيْهِ . وَإِنَّمَا حَزَنَ لِمَا رَأَاهُ بَادِيًا عَلَى أَسَارِيرِ أَبِيهِ (خُطُوطِ
جَبِينِهِ) مِنْ ضَعْفِ الشَّيْخُوخَةِ ، وَفَرَحَ لِأَنَّهُ سَيَكُونُ لِأَبِيهِ خَيْرَ
نَاصِرٍ وَمُعِينٍ عَلَى تَدْيِيرِ شُؤْنِ الْمَلِكِ . وَهُمْ « بَطَلُ أَيْنَا » بِالْكَلامِ ،
فَانْقَدَ لِسَانُهُ مِنْ فَرْطِ الدَّهْشِ ، وَأَخْتَنَقَ صَوْتُهُ بِالْذُّمُوعِ .

فَخَشِيتُ « سَاحِرَةَ أَيْنَا » أَنْ يَفْتَضِحَ السِّرُّ ، وَأُسْرَعَتْ إِلَى
« بَطَلِ أَيْنَا » تَأْمُرُهُ أَنْ يَشْرَبَ الْكَأْسَ - تَلْسِيَةً لِمَشِيئَةِ
الْمَلِكِ - بَعْدَ أَنْ هَمَسَتْ فِي أُذُنِ الْمَلِكِ أَنَّ مَصْدَرَ ارْتِبَاكِ الْفَتَى
وَسِرِّ خَبَالِهِ ، إِنَّمَا نَشَأَ مِنْ تَفْكِيرِهِ فِي جَرِيمَتِهِ الشَّعَاءِ الَّتِي
يَهْمُ بِاقْتِرَافِهَا .

وَمَدَّ الْفَتَى يَدَهُ فَأَخَذَ الْكَأْسَ . وَمَا أَذْنَاهَا مِنْ فِيهِ حَتَّى
ارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ : « حَذَارِ أَنْ تَشْرَبَ قَطْرَةً وَاحِدَةً
مِنْ هَذِهِ الْكَأْسِ الْمَسْمُومَةِ ، وَإِلَّا هَلَكَتَ لِسَاعَتِكَ ! »
وَإِنَّمَا فَعَلَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ لَمَحَ مَقْبِضَ سَيْفِهِ الذَّهَبِيِّ مُعَلَّقًا

عَلَى مَنْكِبٍ وَلَدِهِ تَحْتَ رِثَائِهِ : فَصَاحَ بِهِ مَدْعُورًا :
« أَتَى لَكَ هَذَا السِّيفُ ؟ »

فَقَالَ لَهُ :

« لَقَدْ خَلَّفَ لِي أَبِي هَذَا السِّيفَ وَهَاتَيْنِ النِّعْلَيْنِ ، مِمَّا
أَخْبَرْتَنِي أُمِّي . »

ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ « بَطْلُ أَتِينَا » قِصَّتَهُ كُلَّهَا
فَصَاحَ الْمَلِكُ فَرَحَانًا مَسْرُورًا :

« مَا أَسْعَدَنِي بِبُتَيْكَ ، يَا وَلَدَاهُ ! »

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يُعَاقِبُهُ وَيُقَبِّلُهُ ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا يَسَّرَ (هَيَّا)
لَهُ مِنْ أَشْيَاءِ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ .

١٢ - فِرَارُ السَّاحِرَةِ

وَلَمَّا رَأَتْ « سَاحِرَةُ أَتِينَا » أَفْتِضَاحَ السَّرِّ ، وَإِخْفَاقَ الْمُؤَامَرَةِ ،
أَسْرَعَتْ إِلَى كُنُوزِ الْقَصْرِ ، تَنْتَهِبُ مِنْهَا كُلَّ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهَا
مِنْ حُلَى وَنَقَائِسَ ، حَتَّى مَلَأَتْ مَرَكَبَهَا الْمُسْحُورَةَ ، وَطَارَتْ بِهَا

الْعَالَيْنِ الْمُجَنَّةُ فِي أَجْوَارِ الْقَضَاءِ . وَظَلَّتْ تَقْدِفُ الْجَمَاهِيرَ بِتِلْكَ
 الْأُحْجَارِ الْكَرِيمَةِ ، وَهِيَ مُخْتَقَةٌ (شَدِيدَةُ الْقَضْبِ) تَكَادُ تَتَمَيَّزُ
 (تَنْشَقُّ) مِنَ الْقَيْظِ ، حَتَّى غَابَتْ عَنِ الْأَنْظَارِ .

وَلَا تَسْلُ عَنْ بَهْجَةِ الْأَهْلِينَ ، حِينَ عَرَفُوا آخِرَةَ تِلْكَ الظَّالِمَةِ ،
 وَتَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ قَدِ ارْتَاخُوا مِنْ دَسَائِسِهَا وَآثَامِهَا .

وَجَمَعَ الْأَهْلُونَ كُلُّ مَا قَدَفَتْهُمْ بِهِ مِنَ الْأُحْجَارِ الْكَرِيمَةِ ،
 وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ : فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا مِمَّا حَاوَلُوا رَدَّهُ ،
 وَقَالَ لَهُمْ :

« لَقَدْ وَهَبْتُ لَكُمْ هَذِهِ النَّفَائِسَ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا يَسَّرَهُ لِي
 مِنَ السَّعَادَةِ بِقُرْبِ وَلَدِي الْحَبِيبِ . »

• • •

وَعَاشَ الْمَلِكُ وَوَلَدُهُ وَشَعْبُهُ رَدَحًا (مُدَّةً طَوِيلَةً) مِنَ الزَّمَنِ
 فِي يُسْرِ وَهَنَاءٍ وَصَفَاءٍ ، دُونَ أَنْ يَفْطُنُوا إِلَى مَا يَخْبُوهُ لَهُمُ الْقَدَرُ مِنْ
 مَصَائِبَ وَأَحْدَاثٍ .

الفصل الثاني

١ - يَوْمُ الْهَوْلِ

لَمْ يَدْرِ « بَطَلُ أَيْنَا » أَنَّ الزَّمانَ غادِرٌ قُلُوبُ (لَا يَبْقَى عَلَى
حَالٍ وَاحِدَةٍ) ، وَأَنَّ السَّعَادَةَ لَا تَدُومُ ، وَأَنَّ الْكَدَرَ يَعْقُبُ الصَّفْوُ ،
كَمَا يَعْقُبُ الظُّلَامُ الضِّيَاءُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَلُومٍ إِلَى شَتَائٍ (كُلُّ
جَمْعٍ إِلَى تَفَرُّقٍ) .

وَذَا صَبَاحٍ اسْتَيْقِظَ « بَطَلُ أَيْنَا » مِنْ نَوْمِهِ - وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ
أَحْدَاثِ الزَّمانِ ، وَمَصَائِبِهِ الْمَخْبُوءَةِ لَهُ خَلْفَ أَسْتَارِ الْغَيْبِ - فَرَأَى
الْمَدِينَةَ فِي هَرَجٍ وَمَرَجٍ ، وَسَمِعَ عَوِيلَ الشَّاكِينَ ، وَنُوحَ الْبَاكِينَ ،
وَوَلَوْ لَهُ الْمَفْرَعَيْنِ ، وَأَنَاتِ الْمَسْكُورَيْنِ . فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ الْعَجَبُ ،
وَتَعَاطَمَهُ الدَّهْشُ ، وَكَادَ لَا يُصَدِّقُ عَيْنُهُ فِيمَا تَرَى ، وَأَذُنُهُ
فِيمَا تَسْمَعُ .

فَذَهَبَ مُسْرِعًا إِلَى أَبِيهِ الْمَلِكِ ، يَسْتَفْسِرُهُ جَلِيَّةَ الْخَبَرِ ؛ فَأَجَابَهُ
أَبُوهُ مَخْزُونًا وَاجِمًا :

« لَقَدْ حَلَّ بِنَا الْيَوْمُ الْمَشْهُومُ الَّذِي تَرْتَدِي فِيهِ مَدِينَتَا نِيَابَ
الْحِدَادِ . »

فَقَالَ لَهُ « بَطَلُ أَيْنَا » :

« وَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، يَا أَبَتَاهُ ؟ وَلِمَاذَا خَصَّصْتُمُوهُ بِالسَّوَادِ ؟ »

فَقَالَ « مَلِكُ أَيْنَا » :

« هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الْأَسْوَدُ : يَوْمُ الْهَوْلِ الَّذِي نَجْمَعُ فِيهِ

الضُّحَايَا — مِنْ خَيْرَةِ شَبَابِنَا — لِنُقَدِّمَهُمْ إِلَى « عِجْلٍ مَيْنُو »
زُلْفَى لَهُ وَقُرْبَانًا . »

٢ — « عِجْلُ مَيْنُو »

فَصَاحَ « بَطَلُ أَيْنَا » مَذْهُوشًا : « وَمَا « عِجْلُ مَيْنُو » هَذَا الَّذِي
تَذْكُرُهُ ، يَا أَبَتَاهُ ؟ وَلِمَاذَا تُقَدِّمُونَ لَهُ الضُّحَايَا وَالْقَرَايِينَ ؟ وَأَيُّ تَوْعِيعٍ
مِنَ الْغِيلَانِ ذَلِكَ الْوَحْشُ الَّذِي يَلْتَهُمُ النُّفُوسَ الطَّاهِرَةَ الْبَرِيَّةَ ؟
وَمَا بَالُنَا نَسْتَسْلِمُ لِسَرَّاسَتِهِ ، وَنَخْضَعُ لِحَبْرُوتِهِ ؟ إِنَّ الْحَيَاةَ لَتَهْنُؤُ
— يَا أَبَتَاهُ — فِي سَبِيلِ الْقَضَاءِ عَلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْغِيلَانِ الْهَتَّاكَةِ ،

وَتَخْلِيصِ بَنِي الْإِنْسَانِ مِنْ شَرِّهَا وَأَذَاهَا ! »

فَهَرَّ « مَلِكُ أَيْنَا » رَأْسَهُ بَائِسًا ، وَقَالَ لَوْلَدِهِ مُتَحَيِّرًا وَاجِمًا :
 « إِنَّ « عِجْلَ مَيْنُو » - فِيمَا أَعْلَمُ - غَوْلٌ هَذَا الْعَصْرِ ، وَمَصْدَرٌ
 إِزْعَاجِنَا ، وَمَثَارُ آلَامِنَا وَأَحْزَانِنَا . وَهُوَ يَعِيشُ فِي جَزِيرَةٍ « كَرِيَت » ،
 وَيَبْدُو - لِنَاضِرِهِ - كَأَنَّهُ إِنْسَانٌ وَثُورٌ فِي وَقْتٍ مَعًا . فَإِنَّ هَذِهِ
 الْقَوْلَ الشَّرِيسَةَ ، نِصْفُهَا الْأَسْفَلُ نِصْفُ إِنْسَانٍ ، وَنِصْفُهَا الْأَعْلَى نِصْفُ
 ثَوْرٍ . وَقَدْ بَنَى مَلِكُ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ - أَعْنَى جَزِيرَةِ « كَرِيَت » -
 لِهَذِهِ الْقَوْلِ قَصْرًا فَاخِرًا ، وَلَمْ يَأَلُ جُهْدًا فِي إِعْزَازِهَا ، وَتَوْفِيرِ
 أَسْبَابِ رَاحَتِهَا وَرَفَاهِيَّتِهَا ، وَتَقْدِيرِ لَذَائِذِ الْأَطْعِمَةِ لَهَا . »

٣ - ضَحَايَا « عِجْلِ مَيْنُو »

فَقَالَ « بَطْلُ أَيْنَا » لِأَيِّهِ مُتَعَجِّبًا :
 « وَمَا ذَنْبُ هَذِهِ الضَّحِيَّاتِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا لِهَذَا الْوَحْشِ
 السَّفَاحِ ؟ »
 فَأَجَابَهُ « مَلِكُ أَيْنَا » مَحْزُونًا :

« لَقَدْ نَشِيتِ الْحَرْبُ - مُنْذُ سَنَوَاتٍ ثَلَاثٍ - بَيْنَ « أَتِينَا » وَجَزِيرَةِ
 « كَرِيتَ » ؛ فَأَنْتَصَرَ عَلَيْنَا أَعْدَاؤُنَا وَهَزَمُونَا شَرَّ هَزِيمَةٍ ؛ فَلَمْ تَرَبُدَّا
 مِنْ مُصَالَحَتِهِمْ ، وَالإِذْعَانِ لِمَا أَمَلَوْهُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّرَائِطِ الْجَائِرَةِ .
 وَكَانَ أَشْنَعُ مَا فَرَضُوهُ عَلَيْنَا - حِينَئِذٍ - أَنْ نُقَدِّمَ لـ « عِجَلِ
 مِينُو » - كُلِّ عَامٍ - سَبْعَةَ فِتْيَانٍ وَسَبْعَ فَتَيَاتٍ ، فِي مُقْتَبَلِ
 الشَّابِّ وَفَضَارَةِ الْعُمُرِ ، لِيَأْكُلَهُمْ هَانِئًا مَسْرُورًا ! »

فَقَالَ لَهُ « بَطْلُ أَتِينَا » : « وَأَيْنَ يَعْيشُ هَذَا الْوَحْشُ ، يَا أَبْنَاهُ ؟ »
 فَأَجَابَهُ « مَلِكُ أَتِينَا » : « إِنَّهُ يَعْيشُ فِي قَصْرِ فَاخِرٍ ، لَا مَثِيلَ لَهُ
 فِي الرُّوعَةِ وَالْفَخَامَةِ . وَقَدْ أَعَدَّهُ مَلِكُ « كَرِيتَ » لِهَذِهِ الْقَوْلِ ، تَوْفِيرًا
 لِهِنَاءِهَا ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهَا . وَقَدْ حُلَّ - فِي هَذَا الْيَوْمِ - مَوْسِمُ
 « عِجَلِ مِينُو » : فَجَمَعْنَا لَهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ فَرِيَسَةً مِنْ خَيْرَةِ شُبَّانِنَا
 وَشَوَابِنَا ؛ فَأَنْزَعَجَ الْأَهْلُونَ ، وَلَبِسُوا - مِنْ أَجْلِهِمْ - ثِيَابَ الْجِدَادِ . »

٤ - حِوَارُ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ

فَصَاحَ « بَطْلُ أَتِينَا » هَائِبًا مُتَحَمِّسًا :

« مَا أَخْلَى التَّضَحِّيَةَ ! وَمَا أَجْدَرَنِي بِهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ ، يَا أَبَتَاهُ !
فَخَبَّرَ أَهْلَهُ « أَتَيْنَا » - عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ - أَنَّكَ لَنْ تَخْتَارَ مِنْ شَبَابِهِمْ
إِلَّا سِتَّةَ فَنِيَانٍ ؛ لِأَنِّي اعْتَرَمْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِعَ الصَّحَابَا الَّذِينَ
تَقَدَّمُوهُمْ مِنْ شَبَابِ أَتَيْنَا . »

فَجَزِعَ « مَلِكُ أَتَيْنَا » مِمَّا سَمِعَ ، وَذَرَفَ دَمْعُهُ (أَسْأَلُهُ)
حُزْنًا عَلَى وَلَدِهِ الْحَبِيبِ إِلَى نَفْسِهِ . وَحَاوَلَ - جَهْدَ حُبِّهِ لَهُ
وَخَشْيَتِهِ عَلَيْهِ - أَنْ يُثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ ؛ فَلَمْ يُفْلِحْ .

وَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ :

« لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَكَادَتْ شَيْخُوخَتِي تُسَلِّمُنِي إِلَى الْقَبْرِ ،
وَلَمْ يَعُدْ لِي سَلْوَةٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ سِوَاكَ . »

وَلَكِنْ « بَطَلَ أَتَيْنَا » أَصَمَّ أُذُنَيْهِ ، وَأَنْصَتَ (اسْتَمَعَ) إِلَى نِدَائِهِ
ضَمِيرِهِ ، وَجَعَلَ وَاجِبَهُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَحَفَلَ أُذُنَيْهِ ، وَآلَى عَلَى
نَفْسِهِ لِيَنْتَضِمْنَ ، وَلِيَنْتَضِمْنَ لِأَبْنَاءِ وَطْنِهِ مِنْ « عَجَلِ مِينُو » ، أَوْ يُعَرِّضَ
نَفْسَهُ لِلْبَوَارِ وَالتَّلَفِ . وَمَا زَالَ بِأَبِيهِ يَسْتَغْطِفُهُ وَيَتَرَضَّاهُ وَيَضْرَعُ
لَهُ ، حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِي السَّفَرِ ، وَدَعَا لَهُ بِالنَّجَاحِ فِي سَعْيِهِ الشَّاقِّ الْخَطِيرِ .

٥ - ساعةُ الوداع

وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ ، رَكِبَ « بَطْلُ أَيْنَا » - وَرَفَاقُهُ مِنْ الصَّحِيَّاتِ -
 مَرْكَبًا حَرْيًّا كَبِيرًا ، بَيْنَ وَلَوْلَةِ الْبَاكِينَ ، وَنَوَاحِ الْيَاسِينَ ، وَعَوِيلِ
 الْمَحْزُونِينَ . وَأُنْحَى « مَلِكُ أَيْنَا » - الشَّيْخُ الْفَانِي - عَلَى وَلَدِهِ
 يُعَاقِبُهُ وَيُقَبِّلُهُ ، وَعَيْنَاهُ غَاصَّتَانِ بِالْذُّمُوعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ وَهُوَ يودُّعُهُ :
 « لَقَدْ جَعَلْنَا أَشْرَعَةَ السَّفِينَةِ سُودًا - كَمَا تَرَى - لِأَنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى
 غَايَةٍ مَخُوفَةٍ . فَإِذَا قَدَّرَ لَكَ الْحُظُّ السَّعِيدُ ، أَنْ تَقُوزَ عَلَى خَصْمِكَ
 الْعَنِيدِ ؛ فَأَبْدِلْ هَذِهِ الْأَشْرَعَةَ السُّودَ بِأُخْرَى بَيضٍ ، وَأَنْشُرْهَا عَلَى
 جَنْبَاتِ السَّفِينَةِ ؛ لِنَعْلَمَ - مَتَى رَأَيْنَاهَا - أَنَّكَ عَائِدٌ إِلَيْنَا عَوْدَةَ الظَّالِمِ
 الْمُنْتَصِرِ ، وَنَحْتَفِي بِكَ أَحْتِفَاءً لَمْ تَسْمَعْ « أَيْنَا » بِمِثْلِهِ فِي كُلِّ
 عُصُورِهَا . »

فَوَعَدَ أَبَاهُ بِتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ ، وَودَّعَهُ مُتَأَلِّمًا .

ثُمَّ أَقْلَعُوا سَفِينَتَهُمْ نَاشِرَةً فِي الْفَضَاءِ أَشْرَعَتَهَا السُّودَ .

٦ - الْعِمْلَاقُ النُّحَاسِيُّ

وَسَارَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي رِيحٍ طَيِّبَةٍ لَيْسَتْ ، حَتَّى قَارَبُوا جَزِيرَةَ
 « كَرِيْت » ؛ فَرَأَى « بَطْلُ أَيْنَا » شَحَّ آدَمِيٍّ هَائِلٍ الْجِسْمِ ،
 فِي مِثْلِ طُولِ النَّخْلَةِ السَّامِقَةِ (أَلْمَالِيَةِ) ، وَهُوَ يَسِيرُ بِخُطُواتٍ
 وَاسِعَةٍ سَرِيعَةٍ ، عَلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ ، وَيَجْتَازُ مَا بَيْنَ كُلِّ هَضْبَتَيْنِ
 أَوْ رَأْسَيْنِ بِخُطُوةٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَكَسَّرُ الْأَمْوَاجُ النَّائِرَةُ الْهَائِجَةُ تَحْتَ
 قَدَمَيْهِ . وَقَدْ لَمَعَتْ مَلَامِحُهُ - حِينَ أُنْعَكَتْ عَلَى جِسْمِهِ أَشْعَةُ
 الشَّمْسِ - وَلَاَحَ جِسْمُهُ لِرَأْيِهِ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ النُّحَاسِ الْأَلْمِيعِ
 الْمُتَأَلَّقِ ، وَقَدْ حَمَلَ عَلَى كَتِفَيْهِ هِرَاوَةً (عَصًا ضَخْمَةً)
 نُحَاسِيَةً اللَّوْنِ .

* * *

فَدَهَشَ « بَطْلُ أَيْنَا » مِنْ رُؤْيَا هَذَا الشَّيْخِ الرَّاعِبِ (الْمُخْفِيفِ) ،
 وَسَلَّ رُبَّانَ السَّفِينَةِ عَنْ ذَلِكَ الْعِمْلَاقِ . فَأَجَابَهُ الرُّبَّانُ :
 « هَذَا هُوَ الْعِمْلَاقُ النُّحَاسِيُّ الْهَائِلُ ، الَّذِي يَطُوفُ بِالْجَزِيرَةِ ثَلَاثَ

رَأَتْ - كُلُّ يَوْمٍ - ثُمَّ يَقِفُ عَلَى هَذَا الْمَصِيقِ ، حَيْثُ تَمُرُّ كُلُّ
بَاخِرَةٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مَرَّتِ السَّفِينَةُ تَحْتَ قَدَمَيِ الْعِمْلَاقِ الثَّحَاسِيِّ ، وَهُوَ
مُسِكٌ هِرَاوَتَهُ بِيَدَيْهِ ، يُلَوِّحُ بِهَا فِي الْقَضَاءِ ، فَيُخَيِّلُ لِرَاكِبِيهَا أَنَّهُ
سَيَحْطِئُهَا بِهَا - فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ - وَيَسْحَقُ مَنْ فِيهَا سَحَقًا .

وَقَدْ صَاحَ الْعِمْلَاقُ - حِينَ دَانَتْهُ (اقْتَرَبَتْ مِنْهُ) السَّفِينَةُ -
مُتَوَعِّدًا بِصَوْتٍ مِثْلِ جَلْجَلَةِ الرُّعُودِ الْقَاصِفَةِ :

« مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ قَدِمْتُمْ ، أَيُّهَا الْغُرَبَاءُ ؟ »

فَأَجَابَهُ الرُّبَّانُ مُتَوَدِّدًا :

« مِنْ « أَتَيْنَا » قَدِمْنَا . »

فَصَاحَ الْعِمْلَاقُ مُدَوِّيًا بِصَوْتٍ كَالرَّعْدِ ، وَهُوَ يُلَوِّحُ بِعَصَاهُ (يَرْفَعُهَا
وَيَهْزُهَا) ، لِيُخَيِّلَ عَلَى أَهْلِ « أَتَيْنَا » أَعْدَاءَ جَزِيرَةٍ « كَرِيتَ » :

« وَلَايَ غَرَضٍ جِئْتُمْ أَرْضَنَا ؟ »

فَأَجَابَهُ الرُّبَّانُ :

« لَقَدْ أَحْضَرْنَا الضَّحِيَّاتِ ، الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْنَا ! « عَجَلِ مِينُو ! »



فَقَالَ الْمِثْلَقُ :

« اَدْخُلُوا الْمِيناءَ - اِذْنٌ - وَسِيرُوا فِي طَرِيقِكُمْ آمِنِينَ . »

٧ - فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتِ السَّفِينَةُ عَلَى شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ ، أَقْبَلَ الْجُنْدُ عَلَيْهَا ، وَأَحَاطُوا بِالْأَسْرَى ، وَسَارُوا بِهِمْ حَتَّى مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ . فَوَقَفُوا - أَمَامَهُ - يَرْتَجِفُونَ فَرْعًا وَرُغْبًا ، وَقَدْ أَصْفَرَتْ وُجُوهُهُمْ ، وَأَنْتَظَمَتْهُمْ الرُّعْدَةُ ، مَا عَدَا « بَطَلٌ أَتَيْنَا » : فَقَدْ بَقِيَ رَابِطَ الْجَأَشِ (ثَابِتِ الْقَلْبِ) ، عَلَى الرَّأْسِ ، وَنَظَرَ إِلَى مَلِكِ الْجَزِيرَةِ مُسْتَهِينًا بِكُلِّ مَا هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ مِنْ أَخْطَارٍ وَمَهَالِكٍ .

فَدَهَشَ الْمَلِكُ مِنْ جُرْأَةِ الْفَتَى ، وَسَأَلَهُ بِصَوْتٍ أَجَشٍّ :

« كَيْفَ لَا تَبْدُو عَلَيْكَ أَمَارَاتُ الْجَزَعِ ، أَيُّهَا الْفَتَى ؟

أَلَا تَعْلَمُ : أَيُّ خَطَرٍ يَنْتَظِرُكَ غَدًا ؟

أَلَمْ تَسْمَعْ بِـ « عِجَلِ مِينُو » قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ؟ »

فَقَالَ « بَطَلٌ أَتَيْنَا » :

« لَقَدْ وَهَبْتُ حَيَاتِي فِدَاءً لِأَنْبَلِ غَايَةِ ، وَهِيَ الْإِنْصَافُ (الِإِنْصَارُ) لِلْمَظْلُومِينَ . وَمَا أَسْعَدَنِي بِهَذِهِ التَّفْدِيَةِ (التَّضْحِيَةِ) فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ .
أَمَّا أَنْتَ ، فَقَدْ وَقَفْتَ حَيَاتَكَ الْأَثِيمَةَ عَلَى الْأَذَى وَالْجَوْرِ (الظُّلْمِ) ،
وَكُنْتَ - بِفِطَاظَتِكَ وَقَسْوَتِكَ - أَشَدَّ إِجْرَامًا مِنْ عَجَلٍ مِينُ ! »
فَاهْتَجَّ الْمَلِكُ مِنْ جُرْأَةِ الْفَتَى ، وَصَاحَ بِخُرَاسِهِ مُتَوَعِّدًا
« بَطْلَ أَتِينَا » :

« لَتُقَدِّمَنَّ هَذَا الْوَقْعَ إِلَى « عَجَلٍ مِينُ » عَدَا قَبْلَ رِفَاقِهِ ،
وَلَيَكُونَنَّ أَوَّلَ ضَحِيَّةٍ يَفْتَرِسُهَا بِلَا رَحْمَةٍ ! »
٨ - « حَسَنَاءُ الْجَزِيرَةِ »

وَكَانَتْ « حَسَنَاءُ الْجَزِيرَةِ » - وَهِيَ ابْنَةُ مَلِكٍ « كَرِيْت » - حَاضِرَةً
هَذَا الْحِوَارِ . فَامْتَلَأَتْ نَفْسُهَا إِعْجَابًا بِذَلِكَ الْفَارِسِ الْجَرِيءِ . وَكَانَتْ
رَحِيمَةً الْقَلْبِ ، تَحْنُو عَلَى الْمَظْلُومِينَ ، وَتَعْطِفُ عَلَى الْمُسْكُومِينَ ؛
فَارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْ أَبِهَا مُتَشَفِّعَةً بِهِ إِلَّا يُهْلِكَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ ؛
فَلَمْ يُلْقَ إِلَى تَضَرُّعِهَا أُذُنًا وَاعِيَةً ، بَلْ أُنْشَرَهَا ، وَسَفَّ رَأْيَهَا ، وَأَبَى
إِلَّا التَّمَادِي فِي قَسْوَتِهِ وَعِنَادِهِ .

وَصَبَّرَتْ « حَسَناءَ الْجَزِيرَةِ » إِلَى مُتَسَوِّفِ اللَّيْلِ ، فَذَهَبَتْ إِلَى
 سِجْنِ الْأَسْرَى ، وَفَتَحَتْ بَابَهُ خُلَّةً ؛ فَرَأَتْ « بَطْلًا أَيْتِنَا » سَاهِرًا
 يَقْظَانًا . فَقَالَتْ لَهُ : « لَقَدْ جِئْتُ لِأُنْقِذَكَ مِنَ الْهَلَاكِ ؛ فَانْجُ بِنَفْسِكَ ،
 وَعُدْ سَالِمًا إِلَى وَطَنِكَ . »

فَقَالَ لَهَا مُتَحَمِّسًا : « لَقَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَقْتُلَ « عِجْلَ مَيْنُو » ،
 وَأُنْقِذَ رِيفَاتِي مِنْ فَتْكِهِ ، أَوْ أَمُوتَ دُونَ هَذِهِ الْعَايَةِ . »
 فَقَالَتْ لَهُ مُعْجَبَةً بِشَجَاعَتِهِ :

« مَا دُمْتُ مُصِيرًا عَلَى مُنَاجَزَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الرَّاعِبِ ، فَخُذْ حُسَامَكَ
 الَّذِي أَنْتَزَعَهُ مِنْكَ حُرَّاسُكَ ، وَهَلُمَّ لِأُرْشِدَكَ إِلَى قَصْرِ ذَلِكَ الْوَحْشِ ،
 دَاعِيَةً لَكَ بِالنَّصْرِ وَالتَّوْفِيقِ . »

٩ - « قَصْرُ التِّيهِ »

وَمَا زَالَتْ سَائِرَةٌ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَا « قَصْرَ التِّيهِ » . فَفَتَحَتْ لَهُ الْبَابَ ،
 وَقَالَتْ لَهُ : « إِنَّ هَذَا الْقَصْرَ الْعَجِيبَ هُوَ « قَصْرُ التِّيهِ » الَّذِي عُرِفَتْ
 أَنْبَاؤُهُ ، وَذَاعَ صَيْتُهُ فِي الْأَفَاقِ . وَإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْإِسْمُ لِأَنَّ



مَنْ دَخَلَهُ لَا يَسِرُ فِيهِ بِضَعٌ خُطَوَاتٍ حَتَّى يَنْتَبِهَ فِي أَرْجَائِهِ
الْحَلَزُونِيَّةِ ، وَبَقِيلٍ فِي أَثْنَاءِ شِعَائِهِ الْكَثِيرَةِ الْمُشْتَبِهَةِ ، وَلَا يَزَالُ
ضَالًّا تَائِهًا مَدَى حَيَاتِهِ .

وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّ تُمْسِكَ بِطَرْفِ هَذَا الْخَيْطِ الْحَرِيرِيِّ ، حَتَّى
تَأْمَنَ الضَّلَالَ - إِذَا عُدْتَ مُنْتَصِرًا عَلَى عَدُوِّكَ الْوَحْشِ السَّفَاحِ -
فَإِنَّ فِي يَدَيْ طَرْفِ الْخَيْطِ الْآخَرِ .

فَشَكَرَ لَهَا « بَطْلُ أَيْنَا » مُعَاوَنَتَهَا إِيَّاهُ ، وَدَخَلَ « قَصْرَ التَّيْهِ »
وَفِي بُمْنَاهُ حُسَامُهُ ، وَفِي يُسْرَاهُ الْخَيْطُ الْحَرِيرِيُّ . وَمَا سَارَ بِضَعِ
خُطَوَاتِ ، حَتَّى اشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ طُرُقَاتُ الْقَصْرِ ؛ فَلَمْ يَعْرِفْ أَى
طَرِيقٍ يَسْلُكُ . وَإِنَّهُ لَقِيَ ضَلَالِهِ وَحَيْرَتِهِ ، إِذْ سَمِعَ خَوَارًا عَالِيًا
يُدَوِّي مُجَلْجَلًا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ ؛ فَأَذْرَكَ أَنَّ « عَجَلَ مِينُو » عَلَى كَثِيبٍ
(قَرِيبٌ) مِنْهُ . فَسَارَ فِي مُنْعَطَفَاتِ « قَصْرِ التَّيْهِ » ، صَوَّبَ الصَّوْتِ ،
وَهُوَ يَتَوَقَّعُ - بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى - أَنْ يَرَاهُ .

١٠ - الْمَعْرَكَةُ الْحَاسِمَةُ

وَسَارَ « بَطْلُ أَيْنَا » - فِي طَرِيقِهِ الْمَتَعَرِّجِ - زَاحِفًا مَرَّةً تَحْتَ

جِسْرٍ مُنْخَفِضٍ ، وَهَابِطًا بِضَعِّ دَرَكَاتٍ مِنْ سُلَمٍ فِي مَعَرٍّ مُتَوَرِّقٍ
 مُنْعَطِفٍ ، وَصَاعِدًا دَرَجاتٍ أُخْرَى ، وَمَارًّا خِلَالَ فَتْحَةِ بَابٍ ضَبَقٍ ،
 وَسَامِعًا فَرْقَعَةً وَجَلْبَةً عَالِيَتَيْنِ ؛ حَتَّى خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّ الْجُدْرَانَ تَدُورُ
 بِهِ ، وَكَادَ الدُّوَارُ يَعْتَرِيهِ مِنْ فَرَطِ الْحَيْرَةِ وَالذَّهْشِ .

وَكَانَ يَتَوَقَّعُ - بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى - أَنْ يُفَاجِئَهُ « عِجْلُ مِينُو »
 فِي إِحْدَى الْمُنْعَطِفَاتِ . وَقَدْ صَدَقَ ظَنُّهُ ، وَلَمْ يَكْذِبْهُ حُسْبَانُهُ ؛
 فَقَدْ بَاعَتْهُ « عِجْلُ مِينُو » بَعْدَ لَحْظَاتٍ يَسِيرَةٍ . وَمَا إِنْ رَأَاهُ
 الْعِجْلُ ، حَتَّى هَاجَ أَشَدَّ هِجَاجٍ ، وَصَوَّبَ قَرْنَيْهِ لِيَنْطَحَ خَصْمَهُ
 - وَقَدْ أَسْتَوَى عَلَيْهِ مَا يُشَبِّهُ الْجُنُونَ - وَنَشِبَتْ بَيْنَهُمَا مَعْرَكَةٌ حَاسِمَةٌ .
 وَلَوْ أَنَّ قَرْنَ الْعِجْلِ أَصَابَ جِسْمَ « بَطَلِ أَيْنَا » لَمَزَقَهُ أَشْلَاءَ (قِطْعًا) .
 وَلَكِنَّ « بَطَلِ أَيْنَا » كَانَ يَقِظًا ، لَا يَعْرِفُ الْجُبْنَ إِلَى قَلْبِهِ سَيْلًا ؛
 فَأَنْحَرَفَ عَنْ طَرِيقِ الْعِجْلِ - بِرَشَاقَةٍ نَادِرَةٍ - فَأَصْطَدَمَ قَرْنُهُ
 بِالْجِدَارِ ، فَأَنْكَسَرَ الْقَرْنُ .

وَأَشْتَدَّتْ ثَوْرَةُ الْعِجْلِ وَحَنَقُهُ (غَيْظُهُ) عَلَى خَصْمِهِ ؛ فَتَرَجَعَ
 خُطُواتٍ ، مُتَحَفِّزًا (مُتَهَيِّئًا) لِلْفِتْكِ بِهِ . وَوَقَفَ الْخَصْمَانِ الْبَاسِلَانِ

مُتَقَابِلَيْنِ ، وَجْهًا لِّوَجْهِ ، وَسَيْفًا لِّقَرْنٍ . ثُمَّ قَفَزَ « عَجَلُ مَيْنُو »
 قَفْزَةً جَبَّارٍ ، لِيَطْلُعَنَّ خَصْمَهُ بِقَرْنِهِ الْأَيْسَرِ ، وَفَتَحَ فَاهُ لِيَبْلَعَهُ ؛ فَكَانَتْ
 فَتْحَةً فِيهِ بِمَقْدَارِ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ . وَلَكِنَّ « بَطَلًا أَيْتِنَا » خَيَّبَ ظُنُونَ
 الْعِجْلِ ، وَلَمْ يُمْكِنَهُ مِنْ إِدْرَاكِ بُغْيَتِهِ . فَقَفَزَ فِي الْهَوَاءِ قَفْزَةً هَائِلَةً
 ثُمَّ أَهْوَى بِسَيْفِهِ عَلَى عُنُقِ خَصْمِهِ ؛ فَانْفَصَلَ الرَّأْسُ عَنِ الْجَسَدِ ،
 وَهَوَى « عَجَلُ مَيْنُو » صَرِيحًا إِلَى الْأَرْضِ ، يَتَشَحَّطُ بِدَمِهِ .

• • •

وَهَكَذَا خَلَّصَ النَّاسَ مِنْ شُرُورِ ذَلِكَ الْوَحْشِ وَأَتَانِهِ ، وَأَرَاخَهُمْ
 مِنْ قَسْوَتِهِ وَوَحْشِيَّتِهِ ، وَأَدَّى وَاجِبَهُ لِدَوْلَتِهِ وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا ، بِمَا
 أَسَدَاهُ (صَنَعَهُ) مِنْ عَمَلٍ جَلِيلٍ ، وَصَلِيحٍ (مَعْرُوفٍ) نَبِيلٍ .

الفصل الثالث

١ - خلاص الأسرى

وَلَمَّا كُتِبَ النَّصْرُ إِِلَّا «بَطْلُ أَيْنَا» ، فَكَّرَ فِي الْعُودَةِ . فَمَادَ فِي طَرِيقِهِ - دُونَ عَنَاءٍ - مُسْتَرْشِدًا بِالْخَيْطِ الْحَرِيرِيِّ الَّذِي أَمْسَكَ بِهِ ، حَتَّى بَلَغَ بَابَ «قَصْرِ التَّيْهِ» ؛ فَرَأَى «حَسَنَاءَ الْجَزِيرَةِ» تَنْتَظِرُهُ ، وَهِيَ عَلَى أَحَرِّ مِنَ الْجَمْرِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ صَفَقَتْ يَدَيْهَا طَرْبًا ، وَهَنَانَهُ عَلَى انْتِصَارِهِ الْبَاهِرِ الَّذِي فَاقَ كُلَّ انْتِصَارٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :

«أَسْرِعْ بِالْعُودَةِ - مَعَ رِفَاقِكَ - إِلَى بَلَدِكَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ ، فَيَنْتَقِمَ أَيْ مِنْكَ أَشْنَعُ أَنْتِقَامٍ .»

فَذَهَبَ «بَطْلُ أَيْنَا» مَعَ «حَسَنَاءَ الْجَزِيرَةِ» ، وَأَيَقِظَا الْأَسْرَى ، فَهَبُوا مِنْ نَوْمِهِمْ وَهُمْ لَا يَكَادُونَ يُصَدِّقُونَ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ . وَلَمَّا بَلَغُوا السَّفِينَةَ ، شَكَرَ «بَطْلُ أَيْنَا» إِِلَّا «حَسَنَاءَ الْجَزِيرَةِ» مَا أَسَدَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ مَعُونَةٍ وَفَضْلِ ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهَا أَنْ تَعُودَ مَعَهُ إِلَى بَلَدِهِ ، حَتَّى تَنْجُوَ مِنْ سُخْطِ أَبِيهَا وَعِقَابِهِ ؛ فَقَالَتْ لَهُ :

« لَا سَبِيلَ إِلَى الْمَوَدَّةِ مَعَكَ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ عِصْيَانًا لِأَبِي ، وَهُوَ شَيْخٌ هَرِمٌ ، لَا يَجِدُ غَيْرِي فِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا عِزًّا وَسُلْوَى . وَسَيَفْضُبُ عَلَى أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ يَصْفَحُ عَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَقُمْ بِمَا اسْتَحَقُّ عَلَيْهِ اللُّؤْمُ وَالتَّشْرِيبُ (التَّوْبِيخُ) ، بَلِ اشْتَرَكْتُ فِي تَخْلِيسِ بَنِي الْإِنْسَانِ مِنَ وَخْشٍ فَإِنَّكَ سَفَّاحٌ . »

فَشَكَرَ لَهَا « بَطْلُ أَيْنَا » كَرَمَهَا ، وَإِخْلَاصَهَا لِلْحَقِّ وَالْوَاجِبِ ، ثُمَّ وَدَّعَهَا ، بَعْدَ أَنْ أَتَى عَلَيْهَا بِمَا هِيَ أَهْلُهُ مِنَ الشَّوَاءِ .
ثُمَّ أَقْلَعُوا السَّفِينَةَ عَائِدِينَ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ الْحَبِيبِ . وَمَا زَالَتْ تَعْمُرُ عُجَابَ الْبَحْرِ ، وَتَنْهَبُ الْمَاءَ نَهْبًا ، حَتَّى اقْتَرَبَتْ مِنْ أَرْضِ الْوَطَنِ .

وَلَا تَكَلَّ عَنْ سُرُورِ « بَطْلِ أَيْنَا » وَرِفَاقِهِ حِينَ لَاحَتْ لَهُمْ أَعْلَامُ بِلَادِهِمْ (جِبَالُهَا) ، وَاقْنَعُوا أَنَّهُمْ مُلَاقُوا أَهْلِهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ سَالِمِينَ آمِنِينَ .

٢ - الْأَشْرَعَةُ السُّودُ

أَيْهَا الطُّفْلُ الْعَزِيزُ : كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَقِفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنْ

قِصَّةُ « بَطَلِ أَيْنَا » ، وَلَكِنَّ أَمَانَةَ النُّقْلِ تَحْتِمُ عَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ
إِلَيْكَ بِالْأَسْطُورَةِ كَمَلًا (أَخْبَرَكَ بِهَا كَامِلَةً وَافِيَةً) ، دُونَ نَقْصٍ
أَوْ تَحْرِيفٍ :

لَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَنْتَهِيَ الْأَسْطُورَةُ نِهَائَةً طَبِيعِيَّةً ،
فَبَلَغَتْهُ الْوَالِدُ الْحَدِيثُ (الْمَطُوفُ) الرَّحِيمُ بِوَلَدِهِ الْبَارِّ الشَّفِيقِ .
وَقَدْ كَانَتْ كُلُّ الْمَقْدَّمَاتِ مُؤَدِّيَةً - بِإِلَاشَةٍ - إِلَى هَذِهِ النَتِيجَةِ
السَّارَةِ . وَلَكِنْ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ ، وَشَاءَ الْقَدَرُ الْمُتَصَرِّفُ
فِي الْعِبَادِ - وَلَا رَادَّ لِمَشِيتِهِ - أَلَّا يَلْتَحِقَ الْوَالِدُ بِوَلَدِهِ .
أَرَاكَ تَعْجَبُ مِمَّا تَقْرَأُ ، وَلَكَ الْحَقُّ فِي عَجَبِكَ .

عَلَى أَنْ مَصْدَرُ النُّكْبَاتِ نَشَأَ عَنْ خَطَا تَقِيهِ ، كَانَ غَايَةً فِي الْبُسْرِ ،
وَلَكِنَّ عَوَاقِبَهُ كَانَتْ جَسِيمَةً ، غَايَةً فِي الْخُطُورَةِ .

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ - فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْأَسْطُورَةِ - إِنَّ « مَلِكَ أَيْنَا »
قَدْ أَوْصَى وَلَدَهُ أَنْ يَرْفَعَ الْأَشْرِعَةَ السُّودَ ، وَيُجِلَّ مَحَلَّهَا أَشْرِعَةً
أُخْرَى بِيضًا ، إِذَا كُتِبَ لَهُ الْقُوْرُ وَالنَّصْرُ ، وَرُزِقَ السَّلَامَةُ وَالْإِيَابُ ؟
فَاعْلَمْ - عَلِمْتَ الْخَيْرَ ، وَالْهَيْتَ الرُّشْدَ ، وَسَلِمْتَ مِنْ كُلِّ

أَذَى وَضُرٌّ - أَنْ « بَطَلَ أَيْنَا » وَرِفَاقُهُ جَمِيعًا لَمْ يَذْكُرُوا
نَصِيحَةَ الْمَلِكِ ، وَأَنْتَهُمْ لَذَّةُ الْفَوْزِ وَالْإِنْتِصَارِ مَا أَوْصَاهُمْ بِهِ
« مَلِكُ أَيْنَا » . فَعَادَتِ السَّيْفَةُ - كَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْعَيْنَاءِ - وَهِيَ
مُجَلَّلَةٌ بِالْأَشْرَعَةِ السُّودِ .

وَكَانَ « مَلِكُ أَيْنَا » يَتَرَقَّبُ عَوْدَةَ السَّيْفَةِ - بِغَارِغِ الصَّبْرِ -
عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، وَهُوَ شَدِيدُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَاءِ وَلَدِهِ الْعَزِيزِ ،
وَقَدْ عَظُمَ قَلْقَهُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا دَنَّتِ السَّيْفَةُ مِنَ الْعَيْنَاءِ ، كَانَ أَكْبَرُ
هَمِّهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَشْرَعَتِهَا ، لِیَتَعَرَّفَ مَصِيرَ وَلَدِهِ الشُّجَاعِ . فَلَمَّا
أَبْصَرَ الْأَشْرَعَةَ السُّودَ - كَمَا هِيَ - أَيقَنَ بِهَلَاكِ « بَطَلِ أَيْنَا » ،
وَعَرَفَ أَنَّ « عَجَلَ مَيْنُو » قَدْ صَرَعَهُ كَمَا صَرَعَ كَثِيرًا مِنَ الصُّحَايَا
مِنْ قَبْلُ . فَزَاغَ بَصَرُهُ (اضْطَرَبَتْ عَيْنُهُ) ، وَغَشِيَ عَلَيْهِ (ذَهَلَ) ،
وَدَارَ مُتَرَنَّحًا (مُتَمَايِلًا) ؛ فَهَوَى - مِنْ فَرَطِ الْحُزَنِ - مِنْ
قِمَّةِ الْجَبَلِ الْعَالِيَةِ إِلَى الْبَحْرِ مُتَرَدِّيًا ، وَابْتَلَعَتْهُ الْأَمْوَاجُ الْهَائِجَةُ ،
قَبْلَ أَنْ يَنْمَلَأَ نَظَرُهُ مِنْ وَلَدِهِ الْحَبِيبِ .



خاتمة القصة

وَلَا تَسَلْ عَنْ حُزْنِ « بَطَلِ أَيْنَا » حِينَ بَلَغَ أَشْمَاعُهُ مَصْرَعُ
وَالِدِهِ الْحَدَبِ (الْمَطُوفِ) الرَّفِيقِ ؛ فَقَدْ أَنْتَهُ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ لَذَّةُ
الْفُوزِ وَالْإِنْتِصَارِ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا تَسَلْ عَنْ حُزْنِ الْأَهْلِينَ لِمَصْرَعِ
مِلِكِهِمُ الْعَادِلِ الرَّحِيمِ ، وَفَرَحِهِمُ بِإِنْتِصَارِ وَلَدِهِ : « بَطَلِ أَيْنَا » الَّذِي
خَلَّصَ أَبْنَاءَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ مِنْ « عِجْلِ مِينُو » .

وهكذا امتزج الحُزْنُ بِالْفَرَحِ ، وَاخْتَلَطَتْ أَصْوَاتُ الْبَشَرِ
وَالشُّرُورِ بِرَنَاتِ الْحُزْنِ وَالْأَسَى (أَصْوَاتِ الْبَاكِينَ) .

وَلَكِنَّ الْأَيَّامَ تَنْسِي الْمَصَائِبَ وَالْخُطُوبَ (الْأُمُورَ الْمَكْرُوهَةَ) ،
كَأَنَّهَا تَنْسِي الْمَسَرَّاتِ وَالْأَفْرَاحَ جَمِيعًا . فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ زَمَنٌ قَلِيلٌ حَتَّى
هَدَّاتِ النُّفُوسُ ، وَاسْتَتَبَ الْأُمُرُ « بَطَلِ أَيْنَا » ، وَأَحْضَرَ أُمَّهُ إِلَى مَقَرِّ
مُلْكِهِ وَمُلْكِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ . وَظَلَّ يَعْمَلُ بِتَصْيِغَتِهَا ، وَيَأْخُذُ بِرَأْسِهَا
السَّيِّدِ ، وَلَا يَنْعِصِي لَهَا أَمْرًا . فَأَصْبَحَ حَبِيبًا إِلَى نَفْسِ كُلِّ فَرْدٍ
مِنْ أَفْرَادِ الشَّعْبِ ، وَصَارَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ - بَيْنَ مُلُوكِ عَصْرِهِ -
فِي الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالِإِثْرِ بِالنَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ ، وَتَوْخِي الْأَنْصَافِ .

القصة التالية : الغل الأبيض